سُورَةُ الحِجْرِ

مَكِّيَّةٌ [إِلاَّ آيَةَ ٨٧ فَمَدَنِيَّةٌ]

وَهِيَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ يُوسُفَ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات. والكتاب، والقرآن المبين: السورة. وتنكير القرآن للتفخيم. والمعنى: تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وأي قرآن مبين، كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

قرئ: «ربما»، «وربتما»: بالتشديد، «ورُبَما»، «ورَبَما»: بالضم والفتح مع التخفيف.

فإن قلت: لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي؟

قلت: لأن المترقب في إخبار الله ـ تعالى ـ بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه، فكأنه قيل: «ربما ودّ».

فإن قلت: متى تكون ودادتهم؟

قلت: عند الموت، أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، وقيل: إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار، وهذا ـ أيضاً ـ باب من الودادة.

فإن قلت: فما معنى التقليل؟[1].

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما معنى تقليل ودادتهم... إلخ»؟ قال أحمد: لا شك أن العرب تعبر عن المعنى بما يؤدي عكس مقصوده كثيراً، ومنه قوله [من البسيط]:

قد أترك القرن مصفرا أنامله ....

وإنما يمتدح بالإكثار من ذلك، وقد عبر بقد المفيدة للتقليل، ومنه والله أعلم. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ والمقصود توبيخهم على أذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته =

قلت: هو وارد على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما فعل، ولا يشكون في تندمه، ولا يقصدون تقليله؛ ولكنهم أرادوا: لو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك ألاَّ تفعل هذا الفعل؛ لأنّ العقلاء يتحرّزون من التعرّض للغم المظنون، كما يتحرّزون من المتيقن ومن القليل منه، كما من الكثير؛ وكذلك المعنى في الآية: لو كانوا يودّون الإسلام مرة واحدة، فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه في كل ساعة، ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾: حكاية ودادتهم؛ وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم؛ كقولك: حلف بالله ليفعلنّ، ولو قيل: حلف بالله لأفعلنّ، ولو كنا مسلمين، لكان حسناً سديداً، وقيل: تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين، فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا؛ فلذلك قلل، ﴿ذَرْهُمْ﴾ يعني: اقطع طمعك من ارعوائهم، ودعهم عن النهي عما هم عليه والصدّ عنه بالتذكرة والنصيحة، وخلهم: ﴿يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾: بدنياهم[1] وتنفيذ شهواتهم، ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال، ألاَّ يلقوا في العاقبة إلا خيراً، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: سوء صنيعهم، والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه، وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ، ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك، فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته، وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة، وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه، وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدّي إليه طول الأمل، وهذه هجيري أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين/ ١٨٦ب.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾

= ومناصحته لهم، وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك، فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشري آنفاً من التنبيه بالأدنى على الأعلى، ومنهم من وجهه بأن المقصود في ذلك الإيذان بأن المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع إلى الضد، وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته أن يعود إلى عكسه. وقد أفصح أبو الطيب ذلك بقوله [من الكامل]:

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً ... للمنتهي ومن السرور بكاء

وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الإيقاظ إليها، والعمدة في ذلك على سياق الكلام، لأنه إذا اقتضى مثلاً تكثيراً، فدخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بأن المراد المبالغة على إحدى الطريقتين المذكورتين، والله أعلم.

(١) قوله: «ويتمتعوا بدنياهم» في الصحاح: سميت الدنيا لدنوها، والجمع دنا، مثل الكبرى والكبر، والصغرى والصغر (ع).

﴿وَلَهَا كِتَابٌ﴾: جملة واقعة صفة لقرية، والقياس ألاَّ يتوسط الواو بينهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب[١]، كتاب ﴿مَّعْلُومٌ﴾: مكتوب معلوم، وهو أجلها الذي كتب في اللوح وبين؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: في موضع كتابها، وأنث الأمة أوّلاً ثم ذكرها آخراً، حملاً على اللفظ، والمعنى: وقال: ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: بحذف «عنه»؛ لأنه معلوم.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾

قرأ الأعمش: «يا أيها الذي ألقى عليه الذكر»[٢]، وكأن هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء، كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، وكيف يقرّون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون، والتعكيس في كلامهم للاستهزاء، والتهكم مذهب واسع، وقد جاء في كتاب الله في مواضع، منها: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤﴾ [هود: ٨٧]، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، وقد يوجد كثيراً في كلام العجم، والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أنّ الله نزل عليك الذكر.

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٧﴾

«لو»: ركبت مع: «لا»، و«ما»: لمعنيين: معنى امتناع الشيء لوجود غيره، ومعنى

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا نعلم أحداً قاله من النحويين. وفي محفوظي أن ابن جني سبقهما إلى ذلك».
ثم قال الشيخ: «وهو مبني على جواز أن ما بعد «إلاّ» يكون صفة»، وقد منعوا ذلك. قال الأخفش: «لا يفصل بين الصفة والموصوف بـ«إلا» ثم قال: وأما نحو: «ما جاءني رجل إلا راكب»، على تقدير: إلا رجل راكب. ففيه قبح لجعلك الصفة كالاسم، وقال أبو علي: تقول: «ما مررتُ بأحدٍ إلا قائماً». قائماً حال، ولا تقول: «إلا قائم، لأنَّ «إلا» لا تعترض بين الصفة والموصوف». وقال ابن مالك ـ وقد ذكر ما ذهب إليه الزمخشري في قوله: «ما مررتُ بأحدٍ إلا زَيْدٌ خَيْرٌ منه» أنَّ الجملة بعد «إلا» صفة لـ«أحَدٍ»: إنه مذهب لا يعرف لبصري ولا كوفي، فلا يلتفت إليه، وأبطل قوله: «إنَّ الواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف». قُلْتُ: قول الزمخشري قوي من حيث القياس، فإنَّ الصفة كالحال في المعنى، وإن كان بينهما فرق من بعض الوجوه، فكما أن الواو تدخل على الجملة الواقعة حالاً، كذلك تدخل عليها واقعة صفة ويقويه أيضاً ما نظَّر به من الآية الأخرى في قوله: ﴿مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾. ويقويه أيضاً قراءة ابن أبي عبلة المتقدمة. وقال منذر بن سعيد: «هذه الواو هي التي تعطي أن الحالة التي بعدها في اللفظ هي في الزمن قبل الحالة التي قبل الواو، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «الذي ألقى عليه الذكر» لعله: إليه (ع).

التحضيض، وأما «هل»: فلم تركب إلا مع «لا»: وحدها للتحضيض؛ قال ابن مُقْبِل [من البسيط]:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا ... بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي[1]

والمعنى: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك؛ كقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]، أو: هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً كما كانت تأتي الأمم المكذبة برسلها؟

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾

قرئ: «تنزل»: بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل، وننزل الملائكة: بالنون ونصب الملائكة، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا تنزلاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة، ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي ﷺ لأنكم حينئذ مصدّقون عن اضطرار، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقيل: الحق الوحي أو العذاب، و﴿إِذًا﴾: جواب وجزاء؛ لأنه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: رد لإنكارهم واستهزائهم[2] في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦]؛ ولذلك قال: إنا نحن، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رصد، حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة؛ فإنه لم يتول حفظها؛ وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف، ولم يكل القرآن إلى غير حفظه.

---

(١) لابن مقبل، ولولا ولوما: أصلهما «لو» التي تفيد امتناع الشيء لامتناع غيره، فركبت مع «لا» و«ما» النافيتين. فأفادت معهما امتناع الشيء لوجود غيره، لأن نفي النفي إثبات، فإن لم يكن لها جواب أفادت معهما في المضارع للتحضيض، وفي غيره التنديم أو التوبيخ، يقول: لولا الحياء موجود، ولوما الدين موجود لعبتكما ببعض ما فيكما من العيوب، لأنكما عبتماني بعوري، أو عددتموه عيباً.

(٢) قال محمود: «هذا رد لإنكارهم واستهزائهم... إلخ» قال أحمد: ويحتمل أن يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى، وذلك أيضاً من الدليل على أنه من عند الله، كما قال تعالى في آية أخرى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

فإن قلت: فحين كان قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: ردًا لإنكارهم واستهزائهم، فكيف اتصل به قوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾؟

قلت: قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية؛ لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية، لتطرق عليه الزيادة والنقصان، كما يتطرق على كل كلام سواه، وقيل: الضمير في (له): لرسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: في فرقهم وطوائفهم، والشيعة: الفرقة، إذا اتفقوا على مذهب وطريقة، ومعنى أرسلناه فيهم: نبأناه فيهم وجعلناه رسولاً فيما بينهم، ﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾: حكاية حال ماضية؛ لأنّ «ما»: لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال، ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

يقال: سلكت الخيط في الإبرة، وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته، وقرئ: «نسلكه»، للذكر، أي: مثل ذلك السلك، ونحوه: نسلك الذكر في: ﴿قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ على معنى: أنه يلقيه في قلوبهم[1] مكذباً مستهزءاً به غير مقبول، كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللئام، تعني: مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية،

---

(١) قال محمود: «معناه يلقيه في قلوبهم مكذباً به... إلخ» قال أحمد: والمراد والله أعلم إقامة الحجة على المكذبين بأن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سويدائها، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين، فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم، ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة﴾ ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن، فأعلمهم الله تعالى من الآن وهم في مهلة وإمكان أنهم ما كفروا إلا على علم معاندين باغين غير معذورين، والله أعلم. ولذلك عقبه الله تعالى بقوله ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ أي هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه إعجازه، وولج ذلك في قلوبهم ووقر، ولكنهم قوم سجيتهم العناد وشيمتهم اللدد، حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها إلى الإيمان بضرورة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم باباً في السماء ويعرج بهم إليه حتى يدخلوا منه نهاراً. وإلى ذلك الإشارة بقوله (فظلوا) لأن الظلول إنما يكون نهاراً، لقالوا بعد هذا الإيضاح العظيم المكشوف: إنما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد، وما هذه إلا خيالات لا حقائق تحتها، فأسجل عليهم بذلك أنهم لا عذر لهم في التكذيب من عدم سماع ووعي ووصول إلى القلوب، وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين لأن ذلك كله حاصل لهم وإنما بهم العناد واللدد والإصرار لا غير والله أعلم.

ومحل قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: النصب على الحال، أي: غير مؤمن به، أو هو بيان لقوله: (كذلك نسلكه)، ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم، وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

قرئ: ﴿يَعْرُجُونَ﴾: بالضم والكسر، و﴿سُكِّرَتْ﴾: حيرت أو حبست من الإبصار، من السكر أو السكر، وقرئ: «سكرت»: بالتخفيف[1] أي: حبست كما يحبس النهر من الجري، وقرئ: «سكرت»: من السكر، أي: حارت كما يحار السكران، والمعنى: أنّ هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد: أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها، ورأوا من العيان ما رأوا، لقالوا: هو شيء نتخايله لا حقيقة له، ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك، وقيل: الضمير للملائكة، أي: لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عياناً لقالوا ذلك، وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون، وقال: إنما؛ ليدل على أنهم يبتون/ ١٨٧أ القول بأنّ ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَنِ ٱسْتَرَقَ﴾: في محل النصب على الاستثناء، وعن ابن عباس: أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها، ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين، ﴿مَّوْزُونٍ﴾: وزن بميزان الحكمة، وقدّر بمقدار تقتضيه، لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان، أو له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة، وقيل: ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها، ﴿مَعَٰيِشَ﴾: بياء صريحة، بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما؛ فإن تصريح الياء فيها خطأ، والصواب: الهمزة، أو إخراج الياء بين بين، وقد قرئ: «معائش»: بالهمزة على التشبيه، ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾: عطف على معايش، أو على محل لكم؛ كأنه قيل:

---

(١) قوله: «وقرئ (سكرت) بالتخفيف»: لعل هذا من السكر بالفتح كما أن ما يأتي من السكر بالضم (ع).

وجعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم من لستم له برازقين، أو: وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين، وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون؛ فإنّ الله هو الرزاق، يرزقهم وإياهم، ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة، مما الله رازقه، وقد سبق إلى ظنهم أنهم هم الرازقون، ولا يجوز أن يكون مجروراً عطفاً على الضمير المجرور في: (لكم)؛ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

ذكر الخزائن تمثيل، والمعنى: وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له؛ فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَوَٰقِحَ﴾: فيه قولان: أحدهما: أنّ الريح لاقح إذا جاءت بخير، من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير: ريح عقيم، والثاني: أن اللواقح بمعنى: الملاقح؛ كما قال [من الطويل]:

. . . . . وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ[1]

---

(١) لِيُبْكَ يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

لضرار بن نهشل يرثي أخاه يزيد بن نهشل. وقيل غير ذلك. وليبك: مبني للمفعول، واللام للطلب، ويزيد نائب الفاعل، وضارع فاعل لفعل محذوف، وفي الكلام سؤال مقدر، كأنه قيل: من يبكيه؟ فقيل يبكيه ضارع وهو الدليل، ومختبط وهو السائل، كأنه يختبط أبواب المسئولين. وما مصدرية، وتطيح تهلك. وقال الجوهري: طوحته الطوايح قذفته القواذف، ولا يقال: المطوحات، وهو من النوادر، والقياس المطيحات من أطاح. أو المطوحات من طوح. وقال الأصمعي: هو جمع طائحة. يقال: ذهبت طائحة من العرب أي طائفة منها. أي: يبكيه المختبط من أجل إهلاك الطوائح ماله، فمما متعلق بمختبط. وقيل: يجوز تعلقه بالفعل المقدر، كقوله الخصومة. ونقل العصام عن العارف الرومي: أن يزيد منادى، وحرف النداء محذوف، وضارع نائب الفاعل؛ لأن الضارع والمختبط أحق بالبكاء عليهما بعد يزيد الذي كان يغيثهما. وروي ليبك يزيد بالبناء للفاعل ونصب يزيد، فضارع فاعل للفعل المذكور، ولو ضم يزيد على النداء لجاز هنا أيضاً، أي: ليبك عليك يا يزيد ضارع ومختبط.

وهو للحارث بن نهيك في خزانة الأدب ١/ ٣٠٣، وشرح شواهد الإيضاح ص ٩٤، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ٨٠، والكتاب ١/ ٢٨٨، وللبيد بن ربيعة في ملحق ديوانه ص٣٦٢، ولنهشل بن حري في خزانة الأدب ١/ ٣٠٣، ولضرار بن نهشل في الدرر ٢/ ٢٨٦، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٠٢، وللحارث بن ضرار في شرح أبيات سيبويه ١/ ١١٠، ولنهشل، أو للحارث، أو لضرار، أو لمزرد بن ضرار، أو للمهلهل في المقاصد النحويّة ٢/ ٤٥٤، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ =

يريد المطاوح جمع مطيحة، وقرئ: «وأرسلنا الريح»: على تأويل الجنس، ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾: فجعلناه لكم سقياً. ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾: نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]، كأنه قال: نحن الخازنون للماء، على معنى: نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها، وما أنتم عليه بقادرين: دلالة على عظيم قدرته وإظهاراً لعجزهم.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ أي: الباقون بعد هلاك الخلق كله، وقيل للباقي: «وارث»: استعارة من وارث الميت؛ لأنه يبقى بعد فنائه، ومنه قوله ﷺ في دعائه: «وَٱجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا» (٨١٥)، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾: من استقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر من الأوّلين والآخرين، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر، وقيل: المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين، وروي أن امرأة حسناء

---

٨١٥ ـ أخرجه التّرمذي (٥/ ٥٢٨) كتاب الدعوات باب (٨٠) حديث رقم (٣٥٠٢)، وقال التّرمذي: هذا حديث حسن غريب، والنّسائي (٦/ ١٠٧) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب ١١٥ حديث رقم (١٠٢٣٤).

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه الحاكم (٢/ ١٤٢). وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه التّرمذي والنّسائي والبزار. والحاكم من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات: اللهم اقسم لنا من خشيتك ـ الحديث»، وفيه: «واجعله الوارث منا». قال التّرمذي: حديث حسن وقال البزار: تفرد به عبد الله ابن رواحة. وهو واهي الحديث، وأخرج من رواية حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة: «أنه ﷺ كان يقول: اللهم عافني في جسدي، وعافني في بصري، واجعله الوارث مني»، وأخرجه أبو يَعلى أيضاً، وفي التّرمذي والحاكم من حديث أبي هريرة قال: «كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني»، وفي الطبراني والأوسط عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يدعو» فذكر مثله. انتهى.

= ٣٤٥، ٧/ ٢٤، وأمالي ابن الحاجب ص ٤٤٧، ٧٨٩، وأوضح المسالك ٢/ ٩٣، وتخليص الشواهد ص ٤٧٨، وخزانة الأدب ٨/ ١٣٩، والخصائص ٢/ ٣٥٢، ٤٢٤، وشرح الأشموني ١/ ١٧١، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ٨٠، والشعر والشعراء ص ١٠٥، ١٠٦ والكتاب ١/ ٣٦٦، ٣٩٨، ولسان العرب (طوح)، والمحتسب ١/ ٢٣٠، ومغني اللبيب ص ٦٢٠، والمقتضب ٣/ ٢٨٢.

كانت في المصليات خلف رسول الله ﷺ فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها، وبعض يستأخر ليبصرها؛ فنزلت (٨١٦) ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: هو وحده القادر على حشرهم، والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: باهر الحكمة واسع العلم، يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب، وقد أحاط علماً بكل شيء.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

الصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار، قالوا: إذا توهمت في صوته مدّاً فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة، وقيل: هو تضعيف: «صل»: إذا أنتن، والحمأ: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصوّر، من سنة الوجه[1]، وقيل: المصبوب المفرغ، أي: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها، وقيل: المنتن، من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به، فالذي يسيل بينهما سنين، ولا يكون إلا منتناً، ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: صفة لصلصال، أي: خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ بمعنى: مصور، أن يكون صفة لصلصال، كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف، فيبس حتى إذا نقر صلصل، ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر، ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾: للجن كآدم للناس، وقيل: هو إبليس، وقرأ الحسن وعمرو بن

---

٨١٦ ـ أخرجه التِّرمذي (٥/ ٢٩٦) كتاب تفسير القرآن باب (١٦) حديث رقم (٣١٢٢)، والنَّسائي (١/ ٣٠٢) كتاب الإمامة والجماعة باب المنفرد خلف الصف حديث رقم (٩٤٢)، (٦/ ٣٧٤) كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ حديث رقم (١١٢٧٣)، وابن ماجه (١/ ٣٣٢) حديث رقم (١٠٤٦)، أحمد (١/ ٣٠٥)، ابن خزيمة (٣/ ٩٦) حديث رقم (١٦٩٦)، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٧٠) حديث رقم (٥٤٤٢)، والحاكم (٢/ ٣٥٣)، والطبري في تفسيره (٧/ ٥٠٩) رقم (٢١١٣٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه التِّرمذي والنَّسائي وابن ماجه وابن حِبان والحاكم وأبو يَعلى وأحمد والبزار والطبري وابن أبي حاتم من رواية أبي الجوزاء أوس بن عبد الله عن ابن عباس قال «كانت امرأة حسناء من أحسن الناس تصلي خلف رسول الله ﷺ وكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لأن لا يراها، أو يستأخر بعضهم حتى يكون في الصف الآخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه. فأنزل الله هذه الآية. قال البزار: لا نعلم رواه ابن عباس ولا له طريق إلا هذه وقال التِّرمذي: رُوي عن أبي الجوزاء مرسلاً، وهو أشبه. انتهى.

---

(١) قوله: «من سنة الوجه» في الصحاح: سنة الوجه صورته (ع).

عبيد: «والجأن»؛ بالهمز، ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: من نار الحرّ الشديد النافذ في المسام، قيل: هذه السموم جزء من سبعين جزء من سموم النار التي خلق الله منها الجانّ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: واذكر وقت قوله: ﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾: عدلت خلقته، وأكملتها، وهيأتها لنفخ الروح فيها، ومعنى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: وأحييته، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ؛ وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه، واستثنى إبليس من الملائكة؛ لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود، فغلب اسم الملائكة، ثم استثنى بعد التغليب؛ كقولك: رأيتهم إلا هنداً، و﴿أَبَىٰٓ﴾: استئناف على تقدير قول قائل يقول: هلا سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه، وقيل: معناه: ولكن إبليس أبى، حرف الجر مع «أن»: محذوف، وتقديره: ﴿مَا لَكَ﴾ في ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ بمعنى: أيّ غرض لك في إبائك السجود، وأي داع لك إليه، اللام في ﴿لِأَسْجُدَ﴾: لتأكيد النفي، ومعناه: لا يصحّ مني وينافي حالي، ويستحيل أن أسجد لبشر، ﴿رَجِيمٌ﴾: شيطان من الذين يرجمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله؛ لأن من يطرد يرجم بالحجارة، ومعناه: ملعون؛ لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها، والضمير في (منها): راجع إلى الجنة أو السماء، أو إلى جملة الملائكة، وضرب يوم الدين حدا للعنة، إما لأنه غاية يضربها الناس في كلامهم؛ كقوله/ ١٨٧ب: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٨]: في التأبيد، وإما أن يراد أنك مذموم مدعوّ عليك باللعن في السموات والأرض إلى يوم الدين، من غير أن تعذب، فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه، و(يوم الدين)، و(يوم يبعثون)، و(يوم الوقت المعلوم): في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة، وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت؛ لأنه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يجب إلى

ذلك، وأنظر إلى آخر أيام التكليف، ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء: للقسم، و«ما»: مصدرية وجواب القسم ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾ المعنى: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم، ومعنى إغوائه إياه: تسبيبه لغيه، بأن أمره بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ فأفضى ذلك إلى غيه، وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك، والله تعالى بريء من غيه[1] ومن إرادته والرضا به؛ ونحو قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: في أنه إقسام، إلا أن أحدهما إقسام بصفته والثاني إقسام بفعله، وقد فرق الفقهاء بينهما، ويجوز ألاّ يكون قسماً، ويقدر قسم محذوف، ويكون المعنى: بسبب تسببك لإغوائي أقسم لأفعلنّ بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم، بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في الدنيا التي هي دار الغرور؛ كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦] أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء، فأنا عليّ التزيين لأولاده في الأرض أقدر، أو أراد: لأجعلنّ مكان التزيين عندهم الأرض، ولأوقعن تزييني فيها، أي: لأزيننها في أعينهم ولأحدّثنهم بأنّ الزينة في الدنيا وحدها، حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها؛ ونحوه [من الطويل]:

. . . . . يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي[2] . . . . . .

---

(١) قوله: «والله تعالى بريء من غيه» هذا على مذهب المعتزلة: أن الله لا يريد الشر ولا يخلقه. ومذهب أهل السنة: أن كل كائن فهو يخلقه تعالى وإرادته، خيراً كان أو شراً، وإن كان لا يرضى الشر من العبد، وتفصيله في التوحيد.

(٢) فما لائم يومًا أخ وهو صادق ... إخائي ولا اعتلت على ضيفها إبلي
إذا كان فيها الرسل لم تأت دونه ... فصالي ولو كانت عجافاً ولا أهلي
وإن تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها ... إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

لذي الرمة يمدح نفسه، والإخاء مصدر آخاه، كالوفاق مصدر وافقه، والصحاب مصدر صاحبه، وزنا ومعنى. يقول: وما لام أخ من يوم أي في يوم. وعبر بمن لإشعارها بالاستغراق. أي: لم نلم، والحال أنه صادق في لومه، أو في أخوته مصاحبة لي معه، وقصر الإخاء للوزن، وضمن لام معنى عاب؛ فعداه إليه. ويجوز أن إيقاع اللوم عليه مجاز عقلي؛ لأن الإخاء كأنه محل اللوم، ولا اعتلت أي أبدت لضيفها علة في التأخر عن قراه، وإسناد الفعل للإبل وإضافة الضيف إليها لأنها محل قراه، وذلك كناية عن غاية كرمه، ويجوز أن إسناد الفعل إليها مجاز عقلي، لأنها سبب في اعتلال صاحبها للضيف عنها إذا كان بخيلاً، وإضافة الضيف إليها ترشيح لذلك. ويحتمل أنه شبه الإبل بالكرماء على طريق المكنية، فذلك تخييل، وبين عدم الاعتلال بقوله: «إذا كان فيها الرسل» وهو اللبن القليل، ويطلق على الجمل السهل، لم تأت دونه: أي قريباً من اللبن. فصالي: جمع فصيل، وهو ولد الناقة. ونفى قربها كناية عن نفي ارتضاعها له، ولو كانت عجافاً: أي مهازيل، ولا أهلي: ولا جياعاً، وإن تعتذر الإبل بالمحل والجدب، عن ذي ضروعها: كناية عن اللبن، لأنه ملازم للضروع يجرح نصلي: أي سيفي أو سهمي في عراقيبها، وهي بمنزلة الركب للإنسان، =

استثنى المخلصين؛ لأنه علم أنّ كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه، أي: ﴿هذا﴾ طريق حق، ﴿عَلَيَّ﴾: أن أراعيه، وهو ألاّ يكون لك سلطان على عبادي، إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته، وقرئ: «عليّ»، وهو من علو الشرف والفضل، ﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير: للغاوين، وقيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها، فأعلاها للموحدين، والثاني: لليهود، والثالث: للنصارى، والرابع: للصابئين، والخامس: للمجوس، والسادس: للمشركين، والسابع: للمنافقين، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إن جهنم لمن ادعى الربوبية، ولظى: «لعبدة النار، والحطمة: لعبدة الأصنام وسقر: لليهود، والسعير: للنصارى، والجحيم: للصابئين، والهاوية: للموحدين، وقرئ: «جزء»: بالتخفيف والتثقيل، وقرأ الزهري: «جزّ»؛ بالتشديد؛ كأنه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الزاي؛ كقولك: خبّ في خبء، ثم وقف عليه بالتشديد؛ كقولهم: الرجل، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

المتقي على الإطلاق: من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: اتقوا الكفر والفواحش، ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها، ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾: على إرادة القول، وقرأ الحسن: «أدخلوها» ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: سالمين أو مسلماً عليكم: تسلم عليكم الملائكة، الغل: الحقد الكامن في القلب، من الغل في جوفه وتغلغل، أي: إن كان لأحدهم في الدنيا غلّ على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم، وعن الحارث الأعور: كنت جالساً عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له عليّ: مرحباً بك يا ابن أخي، أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ فقال له قائل: كلا، الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد، فقال: فلمن هذه الآية لا أمّ لك

= وإسناد الاعتذار إليها مجاز، وكذلك إسناد الجرح للنصل، لأنه آلته. ومعنى الجرح في العراقيب: أنه يجعلها مكاناً معدا له، ولو قال: يجرح عراقيبها، لفات ذلك المعنى: وقيل: ضمنه معنى يعثو أي يفسد، وكانت عادة العرب أن يفصدوا الإبل ويجمعوا دماءها ويضعوها على النار فتصير كالكبد، ويقرون بها الضيفان في الجدب، فحرمه الله: ويجوز أنه كناية عن نحرها، لأنهم كانوا يعقرون الجمل الصعب قبل نحره ليسهل عليهم، وهذا هو الذي يقتضيه مقام المدح.

ينظر: ديوانه ص ١٥٦، وأساس البلاغة (عذر)، وخزانة الأدب ٢/ ١٢٨، وشرح المفصل لابن يعيش، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٢٥١، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٣٣، ومغني اللبيب ٢/ ٥٢١.

(٨١٧)؟ وقيل: معناه: طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة، ونزع منها كل غل، وألقى فيها التوادّ والتحاب، و﴿إِخْوَانًا﴾: نصب على الحال، و﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: كذلك، وعن مجاهد: تدور بهم الأسرة حيثما داروا، فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين.

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾

لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه، ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾: تقريراً لما ذكر، وتمكيناً له في النفوس، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: غفور لمن تاب، وعذابه لمن لم يتب، وعطف ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾: على نبئ عبادي، ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين، ويتحققوا عنده أنّ عذابه هو العذاب الأليم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿سَلَٰمًا﴾ أي: نسلم عليك سلاماً، أو سلمت سلاماً، ﴿وَجِلُونَ﴾: خائفون، وكان خوفه لامتناعهم من الأكل، وقيل: لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت، وقرأ الحسن: «لا

---

٨١٧ ـ أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢١٠)، والطبراني في الأوسط وابن مردويه وابن سعد في الطبقات؛ كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٢١٢)؛ كلهم من طريق الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب به، وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٧٦) من طريق أبي حبيبة مولى لطلحة قال: دخل عمران بن طلحة على علي... الحديث وصححه.

وأخرجه أيضاً (٢/ ٣٥٣) من طريق ربعي بن حراشن. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الطبراني في الأوسط والعقيلي وابن سعد من طريق الحارث الأعور قال: كنت عند علي بن أبي طالب إذ جاءه عمران بن طلحة فذكره. وفيه: «فقال الحارث ـ يعني الراوي ـ: الله أجل وأعدل من ذلك، وله طريق أخرى أخرجها الحاكم من طريق ربعي بن خراشن قال: «إني لعند علي جالس إذ جاءه ابن طلحة، فسلم عليه فرحب به، فقال: ترحب بي يا أمير المؤمنين، وقد قتلت والدي، وأخذت مالي؟ قال: أما مالك فهو معزول في بيت المال، أعد إليه فخذه، وأما أبوك فإني أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذي قال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل ـ الآية﴾ فقال رجل من همدان: فذكره. ورواه الحاكم أيضاً والطبري من طريق أبي حبيبة مولى طلحة قال: دخل عمران ابن طلحة على علي ـ رضي الله عنه ـ وذكر نحوه. انتهى.

توجل»: بضم التاء من أوجله يوجله إذا أخافه، وقرئ: «لا تأجل»؛ «ولا تواجل»: من واجله بمعنى: أوجله، وقرئ: (نبشرك): بفتح النون والتخفيف، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾: استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل: أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل، يعني ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾: مع مس الكبر، بأن يولد لي، أي: أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ هي: ما الاستفهامية، دخلها معنى التعجب، كأنه قال: فبأي أعجوبة تبشروني، أو أراد: أنكم تبشرونني بما هو غير متصوّر في العادة، فبأي شيء تبشرون، يعني/ ١٨٨أ: لا تبشرونني في الحقيقة بشيء؛ لأنّ البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء، ويجوز ألاّ يكون صلة لبشر، ويكون سؤالاً عن الوجه والطريقة، يعني: بأي طريقة تبشرونني بالولد، والبشارة به لا طريقة لها في العادة، وقوله: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: يحتمل أن تكون الباء فيه صلة، أي: بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه، أو بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده، وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين، فكيف من شيخ فانٍ وعجوز عاقر، وقرئ: «تبشرون»: بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع، والأصل: تبشرونن وتبشرونّ[1]. بإدغام نون الجمع في نون العماد، وقرئ: «من القنطين» من قنط يقنط، وقرئ: «ومَنْ يَقْنُطُ»؛ بالحركات الثلاث في النون، أراد: ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب، أو إلا الكافرون؛ كقوله: ﴿لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، يعني: لم أستنكر ذلك قنوطاً من رحمته، ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

فإن قلت قوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾: استثناء متصل أو منقطع؟[2].

قلت: لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم، فيكون منقطعاً؛ لأنّ القوم موصوفون بالإجرام، فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين، فيكون متصلاً؛ كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم، كما قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

---

(١) قوله: «وتبشرون» بكسر النون والتشديد. قاله النسفي (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت هل الاستثناء الأول متصل... إلخ» قال أحمد: وجعله الأول منقطعاً أولى وأمكن، وذلك أن في استثنائهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعداً، من حيث إن موقع الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل المستثنى في حكم الأول، وهذا الدخول متعذر من التنكير، ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها إلا في سياق نفي، لأنها حينئذ أعم، فيتحقق الدخول لولا الاستثناء، ومن ثم لم يحسن رأيت قوماً إلا زيداً وحسن ما رأيت أحداً إلا زيداً، والله أعلم.

غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

فإن قلت: فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟

قلت: نعم؛ وذلك أنّ آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة، ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين، كإرسال الحجر أو السهم أو المرميّ، في أنه في معنى التعذيب والإهلاك، كأنه قيل: إنا أهلكنا قوماً مجرمين، ولكن آل لوط أنجيناهم، وأمّا في المتصل: فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مخلصاً[1] بمعنى: الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول.

فإن قلت: فقوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ بم يتعلق على الوجهين؟

قلت: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر «لكنّ» في الاتصال بآل لوط؛ لأنّ المعنى: لكن آل لوط منجون، وإذا اتصل كان كلاماً مستأنفاً، كأنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال لهم: فما حال آل لوط، فقالوا: إنا لمنجوهم.

فإن قلت: فقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ﴾ ممّ استثني، وهل هو استثناء من استثناء؟

قلت: استثني من الضمير المجرور في قوله: (لمنجوهم)، وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء؛ لأنّ الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط، إلا امرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً. إلا اثنتين، إلا واحدة، وفي قول المقرّ: لفلان عليّ عشرة دراهم، إلا ثلاثة، إلا درهماً، فأمّا في الآية فقد اختلف الحكمان؛ لأنّ (إلا آل لوط): متعلق بأرسلنا، أو بمجرمين، و(إلا امرأته): قد تعلق بمنجوهم، فأنى يكون استثناء من استثناء، وقرئ: (لمنجوهم): بالتخفيف والتثقيل.

فإن قلت: لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله: ﴿قَدَّرْنَآ ۚ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[2]،

---

(١) قوله: «فلا يكون الإرسال مخلصاً» لعله: مختصا (ع).

(٢) عاد كلامه. قال محمود: «فإن قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله ﴿قَدَّرْنَآ ۚ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ إلخ» قال أحمد: وهذه أيضاً من دفائنه الاعتزالية في جحد القضاء والقدر، واعتقاد أن الأمر أنف، لأنهم لا يعتقدون أن الله تعالى مريد لأكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد، بمعنى أنه مريد لأكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد، بمعنى أنه مريد ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وإرادته، فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة، ثم استدل على أن التقدير هو العلم بتقدير فعله عن العمل، وذلك من خواص فعل العلم وأخواته، فانظر إلى بعد غوره ودقة فطنته في ابتغاء آية يلفقها ويعاند بها البراهين الواضح =

والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟

قلت: فلم أسند الملائكة فعل التقدير ـ وهو لله وحده ـ إلى أنفسهم، ولم يقولوا: قدّر الله؟

قلت: لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم، كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا وأمرنا بكذا، والمدبر والآمر هو الملك لا هم؛ وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه، وقرئ: «قَدَرنا»: بالتخفيف.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿مُّنكَرُونَ﴾ أي: تنكركم نفسي وتنفر منكم، فأخاف أن تطرقوني بشرّ؛ بدليل قوله: ﴿بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: ما جئناك بما تنكرنا لأجله، بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوّك، وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله، فيمترون فيه ويكذبونك، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: باليقين من عذابهم، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: في الإخبار بنزوله بهم، وقرئ: «فأسر»: بقطع الهمزة ووصلها، من أسرى وسرى، وروى صاحب الإقليد: فسر من السير والقطع في آخر الليل؛ قال [من الخفيف]:

افْتَحِي الْبَابَ وَانْظُرِي فِي النُّجُومِ كَمْ عَلَيْنَا مِنْ قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ[1]

= فلقها، وفي كلامه شاهد على رده، فإن التقدير عنده مضمن معنى العلم، ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر: أن يبقى على معناه الأصلي، مضافاً إليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعاً، فالتقدير إذاً كما أفاد العلم الطارئ يفيد الإرادة أصلاً ووضعاً. والله أعلم؛ على أن من الناس من جعل قوله تعالى ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من كلامه تعالى غير محكي عن الملائكة، وهو الظاهر؛ فإن الذي يجعله من قول الملائكة يحتاج في نسبتهم التقدير إلى أنفسهم إلى تأويل، ويجعله من باب قول خواص الملك: دبرنا كذا، وأمرنا بكذا، وإنما يعنون دبر الملك وأمر، وبذلك أوله الزمخشري. وإن كان أصله لا يحتاج معه إلى التأويل، لأنه إذا جعل قدرنا بمعنى علمنا إنها لمن الغابرين، فلا غرو في علم الملائكة ذلك بإخبار الله تعالى إياهم به، وإنما يحتاج إلى التأويل: من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة، والله أعلم.

(١) يقول لصاحبته وكان يحب طول الليل ويدعيه: افتحي باب البيت وانظري وتأملي في النجوم، أمالت جهة الغرب أم لا؟ وكم: يحتمل أنها خبرية للتكثير، ويحتمل أنها استفهامية، ثم يحتمل أنها مستأنفة، ويحتمل أن الفعل قبلها معلق عن العمل في لفظها لأن لها الصدارة. والمراد من هذا الأمر طلب إخباره بما تعلمه بعد النظر من جواب الاستفهام المذكور. وقطع الليل: ظلمته. وقال في =

وقيل: هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل.

فإن قلت: ما معنى: أمره باتباع أدبارهم[1] ونهيهم عن الالتفات؟

قلت: قد بعث الله الهلاك على قومه، ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم، وخرج مهاجراً فلم يكن له بدّ من الاجتهاد في شكر الله وإدامة ذكره وتفريغ باله لذلك، فأمر بأن يقدّمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه، وليكون مطلعاً عليهم وعلى أحوالهم، فلا تفرط منهم التفاتة احتشاماً منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة، ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب، وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدّم سربه ويفوت به، ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب[2] فيرقوا لهم، وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة[3] ويطيبوها عن مساكنهم، ويمضوا قدماً[4] غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه/ ١٨٨ب فلا يزال يلوي إليه أخادعه؛ كما قال [من الطويل]:

تَلَفَّتُ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّىٰ وَجَدْتُنِي ... وَجِعْتُ مِنَ الإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا[5]

= الصحاح: ظلمة آخره، والمراد به هنا جزء الليل. والبهيم: شديد الظلام لانبهام الأشياء فيه، ووصفه بذلك ملائم للمقام.

ينظر: لسان العرب (قطع)، وتاج العروس (قطع)، وديوان الأدب (١/١٨٨)، وكتاب العين (١/ ١٣٩).

(١) قال محمود: «إن قلت: ما معنى أمره باتباع أدبارهم... إلخ» قال أحمد: ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدم قومه فقال ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣﴾ والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: «وإنما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب... إلخ» قال أحمد: ولقد شملت هذه الآية على وجازتها آداب المسافرين لمهم ديني أو دنيوي، من الآمر والمأمور والتابع والمتبوع ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾.

(٣) قوله: «وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم» لعل فيه تقديماً، والأصل: على المهاجرة عن مساكنهم ويطيبوها، فليحرر (ع).

(٤) قوله: «ويمضوا قدماً» في الصحاح «مضى قدماء بضم الدال: لم يعرج ولم يثن (ع).

(٥) ولما رأيت البشر أعرض دوننا ... وحالت بنات الشوق يحنن نزعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحرث، والبشر: السرور وما به السرور، وأعرض: ظهر أمامنا، وحالت ـ بالمهملة ـ أي صارت حائلاً بيننا وبين البشر ومنعتنا عنه، وبكت: جواب لما، وخص اليسرى أولاً؛ لأنه كان أعور. ويروى: جالت، بالجيم أي حامت خواطر القلب الناشئة من الشوق في قلبي، حال كونها تحن إلى المحبوبة، نازعات شائقات إليها، يقال: نزع نزوعاً إذا مال قلبه واشتاق إلى حبه. والنزع: جمع نازع، فشبه الخواطر بالبنات على طريق التصريحية، لتولدها من =

أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف؛ لأنّ من يلتفت لا بدّ له في ذلك من أدنى وقفة، ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: قيل: هو مصر، وعدّي (وامضوا) إلى (حيث): تعديته إلى الظرف المبهم؛ لأن (حيث): مبهم في الأمكنة، وكذلك الضمير في (تؤمرون)، وعدي (قضينا) بإلى؛ لأنه ضمن معنى: أوحينا، كأنه قيل: وأوحينا إليه مقضيا مبتوتاً، وفسر ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾: بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾، وفي إبهامه وتفسيره وتفخيم للأمر وتعظيم له، وقرأ الأعمش: «إن»: بالكسر على الاستئناف، كأن قائلاً قال: أخبرنا عن ذلك الأمر، فقال: إنّ دابر هؤلاء، وفي قراءة ابن مسعود: «وقلنا إنّ دابر هؤلاء»، ودابرهم: آخرهم، يعني: يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾: أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور، مستبشرين بالملائكة، ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾: بفضيحة ضيفي؛ لأنّ من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه، كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم، ﴿ولا تخزون﴾: ولا تذلونِ بإذلال ضيفي، من الخزي وهو الهوان، أو ولا تشوّروا[1] بي، من الخزاية وهي الحياء، ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عن أن تجير منهم أحداً، أو تدفع عنهم، أو تمنع بيننا وبينهم؛ فإنهم كانوا يتعرّضون لكل أحد، وكان يقوم ﷺ بالنهي عن المنكر، والحجر بينهم وبين المتعرّض له، فأوعدوه

= الشوق وإثبات الجولان والحنين، والنزوع ترشيح؛ لأن الأول خاص بالمحسوس، والأخيران بالمدرك. وإسناد الحنين والنزوع إليها مجاز عقلي؛ لأنهما في الحقيقة لمحلها وهو القلب، بل الشخص وهو سببها. والجهل ضد الحلم. أسبلتا: سالت دموعهما، وإسناد البكاء للعين مجازاً، ومعناه دمعت عيني، فيجوز تشبيهها بالإنسان على طريق المكنية، وزجرها ترشيح، وجهلها وحلمها تخييل، وتلفت: أي أكثرت الالتفات جهة الحي، حتى وجع ليتي وأخدعي. يقال: وجع وجعاً كتعب تعباً. والليت ـ بالكسر ـ: صفحة العنق. والأخدع: عرق فيها، وهما تميزان محولان عن الفاعل، وذلك مبالغة في كثرة التلفت.

ينظر: لسان العرب (وجع)، وأساس البلاغة (لفت).

(١) قوله: «ولا تشوروا بي» في الصحاح «الشوار» فرج المرأة والرجل. ومنه قيل: شور به، أي كأنه أبدى عورته (ع).

وقالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكوننّ من المخرجين، وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم، وكانوا نهوه أن يضيف أحداً قط، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾: إشارة إلى النساء؛ لأنّ كل أمّة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته، فكأنه قال لهم: هؤلاء بناتي فانكحوهنّ، وخلوا بنيّ فلا تتعرضوا لهم، ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: شك في قبولهم لقوله، كأنه قال: إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون، وقيل: إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرّم، ﴿لَعَمْرُكَ﴾: على إرادة القول، أي: قالت الملائكة للوط ـ عليه السلام ـ: لعمرك، ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ أي: غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزه مبين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم، من ترك البنين إلى البنات، ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك؟ وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له، والعمر والعمر واحد؛ إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه؛ وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم؛ ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره: لعمرك مما أقسم به، كما حذفوا الفعل في قولك: بالله، وقرئ: في سكرهم وفي سكراتهم، ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾: صيحة جبريل ـ عليه السلام ـ ﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلين في الشروق، وهو بزوغ الشمس، ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيل: من طين، عليه كتاب من السجل؛ ودليله قوله تعالى: ﴿حجارة من طين مسوّمة عند ربك﴾ [الذاريات: ٣٣؟٣٤]، أي: معلمة بكتاب، ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرّسين المتأملين، وحقيقة المتوسمين: النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء، يقال: توسمت في فلان كذا، أي: عرفت وسمه فيه، والضمير في (عاليها سافلها): لقرى قوم لوط، ﴿وَإِنَّهَا﴾: وإنّ هذه القرى يعني: آثارها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد، وهم يبصرون تلك الآثار، وهو تنبيه لقريش؛ كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الصافات: ١٣٧].

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ قوم شعيب، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني: قرى قوم لوط والأيكة، وقيل: الضمير للأيكة ومدين، لأنّ شعيباً كان مبعوثاً إليهما، فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: لبطريق واضح، والإمام: اسم لما يؤتم به، فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه؛ لأنها مما يؤتم به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾: ثمود، والحجر: واديهم، وهو بين المدينة والشام، ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: بتكذيبهم صالحاً؛ لأنّ من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً، أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين، كما قيل: الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه، وعن جابر: مررنا مع النبي ﷺ على الحجر فقال لنا: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، حَذَراً أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ هَؤُلاءِ» ثم زجر النبي ﷺ راحلته فأسرع حتى خلفها (٨١٨)، ﴿ءَامِنِينَ﴾: لوثاقة البيوت، واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بنيانها، ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر، أو آمنين من عذاب الله يحسبون أنّ الجبال تحميهم منه، ﴿مَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة، لا باطلاً وعبثاً، أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال، ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾: وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك، ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيآتهم؛ فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك، ﴿فَٱصْفَحِ﴾: فأعرض عنهم، واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم وإغضاء، وقيل: هو منسوخ بآية السيف، ويجوز أن يراد به المخالقة[1] فلا يكون منسوخاً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾: الذي خلقك وخلقهم، وهو ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالك وحالهم، فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم،/ ١٨٩أ أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم

---

٨١٨ ـ قال الزيلعي: غريب من حديث جابر، وقال الحافظ: لم أجده من حديث جابر، وللحديث شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه مسلم (٩/ ٣٣٧) نووي كتاب الزهد والرقائق باب «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» حديث رقم (٢٩٨٠).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده من حديث جابر، وهو في الصحيح من حديث ابن عمر بهذا اللفظ دون قوله: «ناقته»، وفي رواية: إن ذلك كان في غزوة تبوك. انتهى.

---

(١) قوله: «يراد به المخالقة» أي المعاملة بحسن الخلق. وفي الصحاح: يقال خالص المؤمن، وخالق الفاجر اهـ (ع).

ما هو الأصلح لكم، وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح، وفي مصحف أبيّ وعثمان: «إن ربك هو الخالق» وهو يصلح للقليل والكثير، والخلاق للكثير لا غير؛ كقولك: قطع الثياب، وقطع الثوب والثياب.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿سَبْعًا﴾: سبع آيات وهي الفاتحة، أو سبع سور وهي: الطوال، واختلف في السابعة فقيل: الأنفال وبراءة؛ لأنهما في حكم سورة واحدة؛ ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية، وقيل: سورة يونس، وقيل: هي: آل حم، أو سبع صحائف وهي الأسباع، و﴿ٱلْمَثَانِى﴾: من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء، لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية، وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك، ولما فيها من الثناء، كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى، و«من»: إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال، وللبيان إذا أردت الأسباع، ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني؛ لأنها تثني عليه، ولما فيها من المواعظ المكررة، ويكون القرآن بعضها.

فإن قلت: كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟

قلت: إذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطوال، فما وراءهنّ ينطلق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣]، يعني: سورة يوسف، وإذا عنيت الأسباع فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم، أي: الجامع لهذين النعتين، وهو الثناء أو التثنية والعظم.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾

أي: لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمنّ له، ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفار.

فإن قلت: كيف وصل هذا بما قبله؟[1].

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف وصل هذا بما قبله... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا هو الصواب في معنى الحديث، وقد حمله كثير من العلماء على الغناء، وادعى هؤلاء أن «تغنى» إنما يبني من الغناء =

قلت: يقول لرسوله ﷺ: «قَدْ أُوتِيتَ النِّعْمَةَ العُظْمَىٰ الَّتِي كُلُّ نِعْمَةٍ وَإِنْ عَظُمَتْ فَهِيَ إِلَيْهَا حَقِيرَةٌ ضَئِيلَةٌ، وَهِيَ القُرْآنُ العَظِيمُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَغْنِي بِهِ، وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَتَاعِ الدُّنْيَا»، ومنه الحديث: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» (٨١٩)، وحديث أبي بكر: «من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي، فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً» (٨٢٠)، وقيل: وافت من بصري وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير،

---

٨١٩ ـ أخرجه البخاري (١٣/ ٥١٠) كتاب التوحيد باب: قوله تعالى ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾. رقم (٧٥٢٧)، وأبو داود (١/ ٤٦٤) كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة رقم: (١٤٦٩ ـ ١٤٧٠ ـ ١٤٧١).
والبيهقي (٢/ ٥٤) كتاب الصلاة، باب: كيف قراءة المصلي، (١٠/ ٢٢٩) كتاب الشهادات، باب: تحسين الصوت بالقرآن والذكر، أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢ ـ ١٧٥ ـ ١٧٩). والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٩، ٥٧٠) كتاب: فضائل القرآن، والحميدي في «المسند» (١/ ٤١)، رقم (٧٦ ـ ٧٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٢١٠)، وعبد الرزاق (٢/ ٤٨٣) رقم: (٤١٧٠ ـ ٤١٧١). وذكرهُ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٤٠) الترغيب في تعاهد القرآن وتحسين الصوت به رقم (٢١٤٨) والبغوي في «شرح السُّنة» (٣/ ٣٣) كتاب فضائل القرآن باب: التغني بالقرآن رقم: (١٢١١) والهندي في «كنز العمال» (١/ ٦٠٥ ـ ٦٠٩) رقم (٢٧٦٩ ـ ٢٧٩٧) والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٤٩).
قال الحافظ:
أخرجه البخاري من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة، وفي الباب عن سعد وأبي لُبابة عند أبي داود. قال المخرج ذهل النووي وقبله المنذري، ثم الطيبي فعزوه لأبي داود ولم يعزوه للبخاري، وأخطأ القرطبي فعزاه لمسلم لا للبخاري، ولم يذكره صاحب جامع الأصول، وعزاه الحاكم للشيخين والذي في الصحيحين حديث أبي هريرة: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به».
(فائدة) قال البيهقي في السنن في كتاب الشهادات: أخبرنا الحاكم عن أبي الأصم سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: ليس منا من لم يتغن بالقرآن. فقال له رجل: يستغن؟ قال: ليس هذا معناه، أي معناه يقرأه تحزينا. انتهى.
٨٢٠ ـ قال الزيلعي: غريب من حديث أبي بكر، وعزاه الزيلعي لإسحاق بن راهويه في مسنده، ومن طريق ابن راهويه رواه الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. ينظر «تخريج الكشاف» (٢/ ٢١٨).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
لم أجده عن أبي بكر وأخرجه ابن عدي في ترجمة حمزة النصيلي عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن ابن مسعود رفعه: «من تعلم القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد حقر عظيماً وعظم صغيراً»، =

= الممدود لا من الغنى المقصور، وأن فعله استغنى خاصة، وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور في الحديث الصحيح في الخيل. وأما التي هي ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا، وإنما هذا من الغنى المقصور قطعاً واتفاقاً، وهو مصدر تغني، فدل ذلك على أنه مستعمل من البناءين جميعاً على خلاف دعوى المخالف، والله الموفق.

فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوّينا بها، ولأنفقناها في سبيل الله، فقال لهم الله ـ عز وعلا ـ: «لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتمنّ أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوّى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون، وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم، وطب نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء، ﴿وَقُلْ﴾: لهم ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾: أنذركم ببيان وبرهان أنّ عذاب الله نازل بكم.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾؛ حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم: بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، فاقتسموه إلى حق وباطل، وعضوه[1]، وقيل: كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم: سورة البقرة لي، ويقول الآخر: سورة آل عمران لي، ويجوز أن يراد بالقرآن: ما يقرؤونه من كتبهم، وقد اقتسموه بتحريفهم، وبأنّ اليهود أقرّت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم، وقولهم: سحر وشعر وأساطير، بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم.

والثاني: أن يتعلق بقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ أي: وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين، يعني: اليهود، وهو ما جرى على قريظة والنضير، جعل المتوقع بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز؛ لأنه إخبار بما سيكون وقد كان، ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالنذير، أي: أنذر المعضين الذين يجزؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير، مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، فقعدوا في كل مدخل متفرّقين لينفروا الناس عن الإيمان

= وحمزة اتهموه بالوضع. وأخرجه إسحاق والطبري من حديث عبد الله بن عمر بلفظ: «من أُعطي القرآن فرأى أن أحداً أُعطي أفضل مما أُعطي فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظمه الله» ـ الحديث. انتهى.

---

(١) قوله: «وعضوه» في الصحاح: عضيت الشاة تعضية، إذا جزأتها أعضاء. وعضيت الشيء تعضية، إذا فرقته (ع).

برسول الله ﷺ يقول بعضهم: لا تغتروا بالخارج منا؛ فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر، فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات، كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب وغيرهم، أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا ـ صالحاً ـ عليه السلام ـ والاقتسام بمعنى: التقاسم.

فإن قلت: إذا علقت قوله: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ بقوله: (ولقد آتيناك): فما معنى توسط (لاتمدّنّ) إلى آخره بينهما؟

قلت: لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم، اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية، من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم، ومن الأمر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين (عضين) أجزاء، جمع عضة، وأصلها عِضْوَة فِعْلَة: من عضى/ ١٨٩ب الشاة إذا جعلها أعضاء؛ قال رؤبة [من الرجز]:

وَلَيْسَ دِينُ الله بِالْمُعَضَّى

وقيل: هي فعلة، من عضهته إذا بهته[1]، وعن عكرمة: العضة: السحر، بلغة قريش، يقولون للساحر: عاضهة، ولعن النبي ﷺ العاضهة والمستعضهة (٨٢١)، نقصانها على الأوّل: واو، وعلى الثاني: هاء.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾: عبارة عن الوعيد، وقيل: يسألهم سؤال تقريع، وعن أبي العالية: يسأل العباد عن خلتين: عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فاجهر به وأظهره، يقال: صدع بالحجة: إذا تكلم بها جهاراً؛

---

٨٢١ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٤/ ٣٦٧) من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس به.
وأخرجه أبو يَعلى من هذا الطريق؛ كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢١٨).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو يَعلى وابن عدي من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام وهما ضعيفان، وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. انتهى.

---

(١) قوله: «إذا بهته» أي اتهمته (ع).

كقولك: صرح بها، من الصديع وهو الفجر، والصدع في الزجاجة: الإبانة، وقيل: (فاصدع) فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر، والمعنى: بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار؛ كقوله [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ..... (١)

ويجوز أن تكون (ما): مصدرية، أي: بأمرك مصدر من المبني للمفعول.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

عن عروة بن الزبير في المستهزئين: هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث بن الطلاطلة، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ماتوا كلهم قبل بدر، قال جبريل ـ عليه السلام ـ للنبي ﷺ: أمرت أن أكفيكهم، فأومأ إلى ساق الوليد فمرّ بنبال فتعلق بثوبه سهم، فلم ينعطف؛ تعظماً لأخذه، فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات، وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل، فدخلت فيها شوكة، فقال: لدغت لدغت وانتفخت رجله، حتى صارت كالرحى ومات، وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب، فعمي، وأشار إلى أنف الحارث بن قيس، فامتخط قيحاً فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة، فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (٨٢٢).

---

٨٢٢ ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣١٦) عن ابن عباس، وابن هشام في سيرته (٢/ ٢٠) عن ابن إسحاق. =

---

(١) فقال لي قول ذي رأي ومقدرة ... محرر نزه خال من الريب
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب

لخفاف بن ندبة، وقيل: لعباس بن مرداس. وقيل: لعمرو بن معد يكرب. وقيل: لإياس بن موسى، والمقدرة: مثلث الدال: القوة، والمحرر النزه ـ كحذر ـ: الخالص من الغش. والريب، أي الشبه، وهو نعت لذي رأي. ولو جعلته نعتاً للرأي لكان فيه الفصل بين النعت والمنعوت بالعطف. ويجوز رفعه على أنه نعت مقطوع للقول. والنشب: المال الأصل صامتاً أو ناطقاً، فهو من عطف الخاص على العام. ويروى: ذا نسب، بالمهملة: أي نسب عظيم، وأمر: يتعدى للثاني بالباء. ويقال: أمرتك الخير على التوسع، أو تضمين التكليف، وجمعهما الشاعر في البيت.
البيت للعباس بن مرداس. ينظر: ديوانه ٤٧، قصيدة رقم ٢، ص ٣١، المقتضب، ٢/ ٣٥، الكتاب ١/ ٣٧، المحتسب ١/ ٥١، أمالي ابن الشجري ١/ ١٦٥، الهمع ٢/ ٨٢، الدرر ٢/ ١٠٦، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٤٢، ٨/ ٥٠، الخزانة ١/ ٣٣٩، الشذور ٣٦٩، المغني ١/ ٣١٥، ونسب البيت إلى خفاف بن ندبة وهو في ملحقات ديوانه ص١٢١، ونص (أمرتك الرشد) ونسب لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وهو في ديوانه ٦٣، الأصول ١/ ١٧٨، شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٣٠٥، الدرر ٢/ ١٠٦، الدر ١/ ١٣٣.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾: من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن، ﴿فَسَبِّحْ﴾: فافزع فيما نابك إلى الله، والفزع إلى الله: هو الذكر الدائم وكثرة السجود، يكفك ويكشف عنك الغم، ودم على عبادة ربك، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت، أي: ما دمت حيًا فلا تخل بالعبادة، وعن النبي ﷺ: أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (٨٢٣).

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الحِجْرِ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالمُسْتَهْزِئِينَ بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٨٢٤).

= وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أجده بهذا السياق. وأخرجه الطبراني في معجمه. وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل لهما. وابن مردويه كلهم من طريق جعفر بن إياس عن سعيد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾، قال: هم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود ابن المطلب، وأبو زمعة والحرث بن عيطل السهمي، قال: أتاه جبريل فشكاهم إليه. فأراه الوليد ابن المغيرة فأومأ جبريل إلى أكحله. فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته. فساق الحديث. قال: فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أكحله فقطعها. وأما الأسود بن المطلب فعمي. وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما العاص بن وائل فركب إلى الطائف فربط به حماره على شبرقة يعني شوكة. فدخلت في أخمص قدمه فقتلته. وأما الحرث بن عيطل فأخذه ألم الأصفر في بطنه حتى خرج خرء من فيه فمات منها». انتهى.

٨٢٣ ـ قال الحافظ:

تقدم في البقرة. انتهى.

٨٢٤ ـ أخرجه الواحدي في تفسيره الوسيط (٣/٣٨)، وعزاه الزيلعي للثعالبي، وابن مردويه في تفسيره بسنده في آل عمران. وينظر حديث رقم (٣٤٦).

قال الحافظ:

رواه الثعلبي من طريق أبي الخليل عن علي بن زيد عن زر بن حبيش عن أُبي بن كعب، وقد تقدمت أسانيده في آخر آل عمران. انتهى.